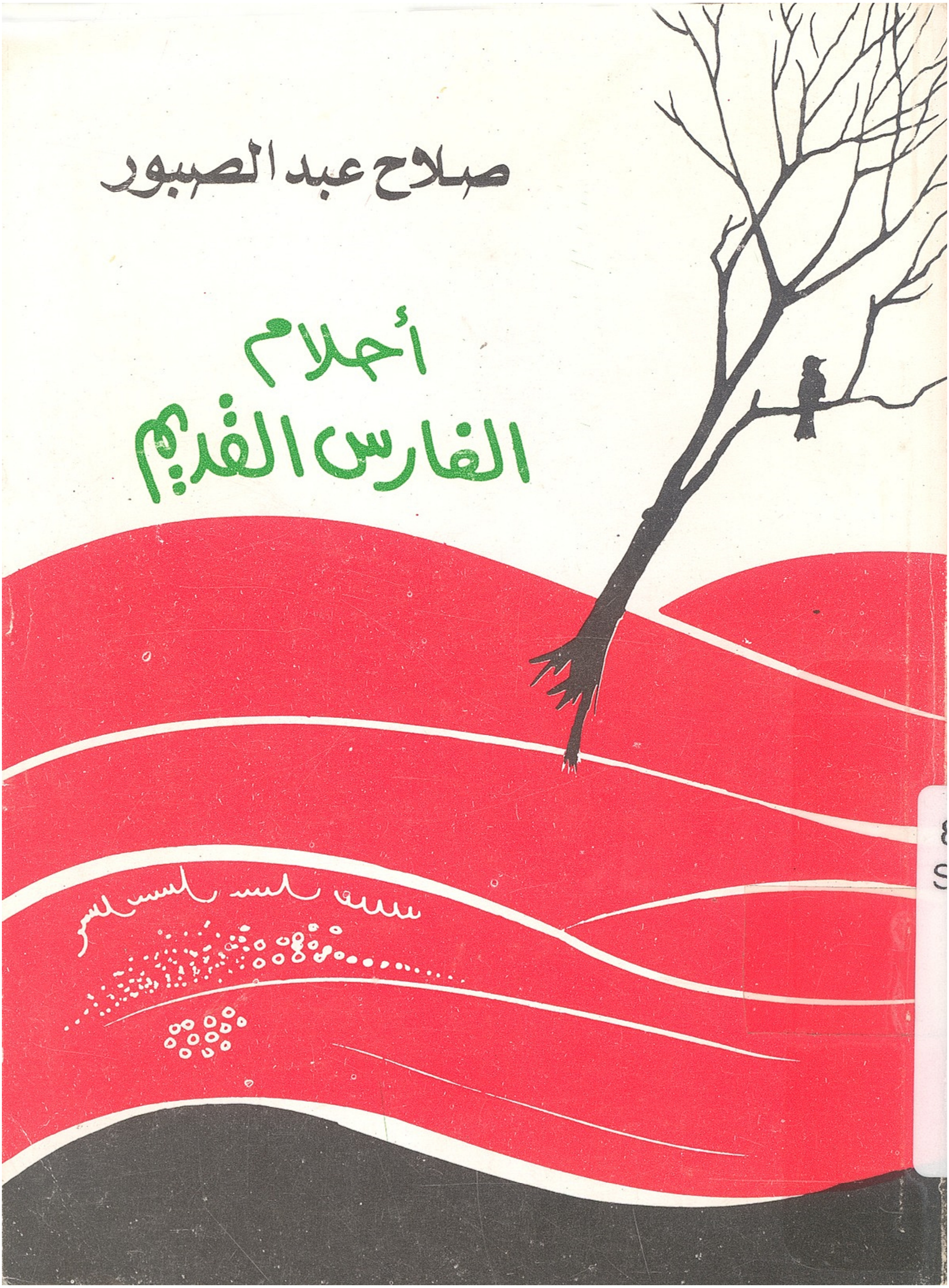
صلاح عبد الصبور

أحلام الفارس القديم



أحلام الفارس القديم

أحلام الفارس القديم

مفتتح

معذرةً يا صحبتي ، لم تثمر الأشجارُ هذا العامْ
فجئتكم بأردإ الطعامْ
ولست باخلاً ، وإنما فقيرةٌ خزائني
مقفرةٌ حقولُ حِنطتي ...

* * *

معذرةً يا صحبتي ، فالضوءُ خافتٌ شحيح
والشمعةُ الوحيدةُ التي وجدتها بجيبِ معطفي
أشعلتُها لكم ...
لكنها قديمةٌ معروفةٌ لهيبُها دموعْ

معذرةً يا صحبتي ، قلبي حزينْ
من أين آتي بالكلامِ الفرِحْ .

الكراسة الأولى

من أناشيد القرار

الى ن. ي.

اغنية للشتاء

يُنبئني شتاءُ هذا العامِ أنني أموتُ وحدي
ذاتَ شتاءٍ مثلَه ، ذاتَ شتاءْ
ينبئني هذا المساءُ أنني أموت وحدي
ذاتَ مساءٍ مثلَهُ ، ذاتَ مساءْ
وأن أعوامي التي مضت كانت هباءْ
وأنني أقيمُ في العَرَاءْ
ينبئني شتاءُ هذا العامِ أن داخلي ...
مرتجفٌ برداً
وأن قلبي ميتٌ منذ الخريف ...
قد ذوى حين ذوتْ

أول أوراق الشجر
ثم هوى حين هوت
أولُ قطرةٍ من المطرْ
وأن كل ليلةٍ باردةٍ تزيده بُعدا
في باطِنِ الحجرْ
وأن دفءَ الصيفِ إنْ أتى ليوقظَه
فلن يمدّ من خلالِ الثلجِ أذرعهْ
حاملةً وردا
ينبئني شتاءُ هذا العامِ أن هيكلي مريض
وأن أنفاسيَ شوكُ
وأن كل خطوةٍ في وسْطِها مغامره
وقد أموتُ قبلَ أن تلحقَ رِجلٌ رِجلا
في زحمةِ المدينةِ المنهمره
أموتُ لا يعرفُني أحدْ
أموتُ ... لا يبكي أحدْ
وقد يُقالُ ، بينَ صحبيّ ، في مجامِعِ المسامر

مجلِسُهُ كانَ هنا ، وقد عَبرْ
فيمَنْ عَبر ...
يَرْحمُهُ الله ...

ينبئني شتاءُ هذا العامِ أن ما ظننتُهُ ...
شفايَ كان سُمّي
وأن هذا الشِعرَ حين هزّني أسقطني
ولست أدري منذُ كم من السنينِ قد جُرِحت
لكنني من يومها ينزفُ رأسي
الشعرُ زلّتي التي من أجلِها هدَمْت ما بَنَيْت
من أجلها خرجتْ
من أجلها صُلبْتْ
وحينما عُلّقتُ كان البردُ والظلمةُ والرعدُ
ترُجُّني خوفا

وحينما ناديته ، لم يَستجبْ
عرفتُ أنني ضيعتُ ما أضعْتْ
ينبئني شتاء هذا العام أننا لكي نعيشَ في الشتاء

لا بدّ أن َنخزِنَ من حرارةِ الصيفِ وذكرياهِ ..
دِفئا
لكنني بعثرتُ كالسفيهَ في مطالعِ الخريفِ
كل غِلالي ، كل حنطتي وحَبّتي
كان جزائي أن يقولَ لي الشتاءُ أنني :
ذاتَ شتاءٍ مِثلَهُ ...
أموتُ وحدي
ذات شتاء مثلَهُ ، أموتُ وحدي

أغنية للقاهرة

« بعد شهر من التجوال »

لقاكِ يا مدينتي حَجَّي ومبكايا
لقاكِ يا مدينتي اسايا
وحين رأيتُ من خلال ظُلمةِ المطار
نورَكِ يا مدينتي عرفتُ أنني غُلِلتْ
إلى الشوارع المسفلتَه
إلى الميادين التي تموتُ في وقدتها
خُضرَةُ أيامي ..
وأنّ ما قُدّرَ لي يا جرحيَ النامي

لقاكِ كلما اغتربتُ عنْك
بروحيَ الظامي
وأن يكونَ ما وهبْتِ أو قدّرْتِ للفؤادِ من
يُنبوعَ إلهامي
وأن أذوبَ آخرَ الزمانِ فيك
وان يضمّ النيلُ والجزائرُ التي تشُقه ....
والزيتُ والأوشابُ والحجرْ
عظامي المفتّته
على الشوارعِ المسفلتهْ
على ذرى الأحياءِ والسِككْ
حين يَلم شملها تابوتيَ المنحوتُ من جميزِ مصر
لقاك يا مدينتي يخلعُ قلبي ضاغطاً ثقيلا
كأنه الشهوةُ والرهبةُ والجوعُ
لقاك يا مدينتي ينفُضُني
لقاك يا مدينتي دموعُ
أهواكِ يا مدينتي الهوى الذي يَشرقُ بالبكاءْ

إذا ارتوت برؤيةِ المحبوبِ عيناهُ
أهواك يا مدينتي الهوى الذي يسامحْ
لأن صوتهُ الحبيسَ لا يقولُ غير كلمتين ...
إن أراد أن يُصارحْ
أهواكِ يا مدينتي .....
أهواك رغم انني أُنكرتُ في رحابك
وأن طيريَ الأليفَ طارَ عني
وأنني أعودُ ، لا مأوى ، ولا مُلتجأ
أعود كي أشردَ في أبوابك
أعود كي أشربَ من عذابك ...

اغنية الليل

الليل سُكرنا وكأسنا
ألفاظنا التي تُدارُ فيه نقلُنا وبَقلُنا
الله لا يحرمني الليلَ ولا مرارتَه
وإن أتاني الموتُ ، فلأمتْ محدثاً أو سامعا
أو فلأمتْ ، أصابعي في شعرِها الجعدِ الثقيلِ الرائحهْ
في ركنيَ الليليِّ، في المقهي الذي تضيئُهُ مصابحٌ حزينهْ
حزينةٌ كحزن عينيها اللتين تخشيانِ النورَ في النهار
عينانِ سوداوانْ .
نضاحتانِ بالجلال المُرِّ والأحزانْ
مرّت عليهما تصاريفُ الزمانْ

فشالتنا من كل يومٍ أسودٍ ظلاً ...

عينانِ سِرْدابانْ
عميقتانِ موتا
غريقتان صمتا
فإن تكلمتا
تنَدّتا تعاسةً ولوعةً ومَقْتا
ينكشف السردابُ حينما تدُقُّ الساعةُ البطيئةُ الخطى
معلنةً أن المسا قدْ انكشفْ
تقولُ لي العينانْ :
« يا عاهري المتوج الفَوْدَين بالحديد والحصى »
« يا ملكي الغريب الاسمِ المزيف السِماتْ »
« أحببتُ فيكَ رؤيةً رأيتُها منذُ الصغر »
« وكان يُشبهك »
« وليسَ أنتَ ... ليسَ أنتْ ! »

« كان فتى حُلمي جميلاً ، لا مُزوّقا »
« مُثقفاً ، لا ذَرِبَ اللسانْ »
« محتشماً ، نبالةً في الطبْعِ ، لا تَخوّفا »
« وعاطفاً ، لا عاطفيّا »
« يا عاهري ،

يا خُدْعتي ،

يا قَدَري » !

« في الساعةِ الليليةِ الأخيرهْ »
« خذني إلى البيتِ ، فإنني أخاف أن يَبُلّني الندى
« تذوبُ أصباغي

ويبدو قبحُ وجهي »

وتصمتُ العينانِ ، ترجمانْ
عميقتانِ صمتا
غريقتانِ مَوْتا
الليل ثوْبُنا ، خِباؤنا
رُتبتُنا ، شارَتُنا ، التي بها يعرفُنا أصْحابُنا

« لا يعرفُ الليل سوى من َفقدَ النهارْ »
هذا ِشعارُنا
لا تبكنا ، يا أيها المستمعُ السعيدْ
فنحنُ َمزْهوونَ بانهزامِنا

أغنية الى الله

– ١ –

لينتثرْ فتاتُ لحنِنا على جناحِ عيشنا الغريبْ
ولنتغرّبْ في قفارِ العُمْرِ والشُّحُوب
ولننكسرْ في كل يومٍ مرتينْ
فمرةً حينَ نقابلُ الضياءْ
ومرةً حينَ تذوبُ الشمسُ في الغروبْ
فقد أرَدْنا أن نرى أوسعَ من أحداقِنا
وأن نطولَ باليد القصيرةِ المجذوذةِ الأصابع
سماءَ أمنيّاتِنا
الله يا وِحدتي المغلقةَ الأبوابْ

الله لو منحتني الصفاءْ
الله لو جلستُ في ظلالكِ الوارفةِ اللّفاءْ
أجدلُ حبلَ الخوفِ والسأمْ
طولَ نهاري
أشنُقُ فيه العالَمَ الذي تركتُه ورا جداري
ثم أنامُ غارقاً ، فلا يغوصُ لي ...
حُلمْ ....

- ٢ -

حين تصيرُ الرغباتُ أمنياتْ
لأنها بعيدةُ المطالِ في السّما
ثم تصيرُ الأمنياتُ وَهْما
لأنها تقنّعت بالغيمِ والضبابْ
وهاجرَتْ مع السحابْ
واستوطنَتْ أعاليَ الهضابْ
ثم يصيرُ الوهمُ أحلاما

لأنه ماتَ ، فلا يطرقُ سورَ النفسِ إلا حين يُظلمُ المساءْ
كأنه أشباحُ ميتين منْ أحبابنا
ثم يصيرُ الحلمُ يأساً قاتماً وعارضاً ثقيلا
أهدابُنا ...
أثقلُ منْ أنْ ترى ...
وإن رأت فما يرى العِميانْ ؟
أقدامُنا ...
أثقلُ من أن تنقلَ الخطى ...
وإن خطتْ تشابكتْ ، ثم سقطنا هُزْأةً كبهلوانْ
نصرخُ ، يا ربّنا العظيمَ ، يا إلهنا
أليسَ يكفي أننا موتى بلا أكفانْ
حتى تُذلَّ زَهْونا وكِبْرياءَنا ؟

- ٣ -

حزني ثقيلٌ فادحٌ هذا المساءْ
كأنهُ عذابُ مُصْفَدينَ في السعير

حزني غريبُ الأبوينِ
لأنه تكوَّنَ ابنَ لحظةٍ مفاجئهْ
ما تَمخَّضَتْهُ بَطنْ
أراهُ فجأةً إذا يمتد وَسْطَ ضِحْكتي
مُكتملَ الخِلقةِ ، موفورَ البَدَنْ
كأنه استيقظَ من تحتِ الركامْ
بعدَ سُباتٍ في الدُهورْ

- ٤ -

لقد بلوتُ الحزنَ حينَ يزْحَمُ الهواءَ كالدُخانْ
فيوقظُ الحنينَ ، هلْ نرى صحابَنا المسافِرينْ
أحبابنا المهاجرينْ
وهل يعودُ يومُنا الذي مضى من رحلةِ الزمان ؟
ثم بلوتُ الحزنَ حينَ يلتوي كأفعوانْ
فيعصِرُ الفؤادَ ثم يَخنقُهْ
وبعدَ لحظةٍ من الإسارِ يُعتِقُهْ

ثم بلوتُ الحزنَ حينما يفيضُ جدولاً من اللهيبْ
نملأُ منه كأسَنَا ، ونحنُ نمضي في حدائِقِ التذَكرات
ثم يمرُّ ليلُنا الكئيبْ
ويشرقُ النهارُ باعثاً من المماتْ
جذورَ فرْحِنا الجديبْ
لكنّ هذا الحزنَ مِسْخٌ غامضٌ ، مستوحشٌ ، غريبْ
فقلْ لهُ يا ربُ ، أنْ يفارقَ الديارْ
لأنني أريدُ أن أعيشَ في النهارْ

- ٥ -

يا ربّنَا العظيمَ ، يا مُعذّبي
يا ناسجَ الأحلامِ في العيونْ
يا زارعَ اليقينِ والظنونْ
يا مرسلَ الآلامِ والأفراحِ والشجُون
اخترتَ لي ،
لَشَدّ ما أوْجَعْتَنِي

ألم أخلّصْ بعدُ ،

أم تُرى نَسِيتَني ؟

الويلُ لي ، نسيتَني

نسيتني

نسيتني ...

الكراسة الثانيـة

أغنيات تائهة

اغنية من فيينا

كانت تنامُ في سريري ، والصّباحْ
منسكبٌ كأنه وِشاحْ
من رأسها لردْفِها
وقطرةٌ من مَطَرِ الخريفْ
ترقدُ في ظِلالِ جَفْنِها
والنَفَسُ المستعجلُ الخفيفْ
يَشهَقُ في حلْمَتِها
وقفتُ قربها ، أحُسّها ، أرقُبُها ، أشمُّها
النَبَضُ نبْض وَثَني
والروحُ روحُ صوفيٍ ، سليب البَدَنِ

أقولُ ، يا نفسي ، رآكِ اللهُ عطشى حين بلّ غربتكْ
جائعةً فقوّتَكْ
تائهةً فمدّ خيْطَ نجمةٍ يُضيءُ لكْ

يا جسمها الأبيضَ قلْ : أأنتَ صوتْ ؟
فقد تحاوَرْنا كثيراً في المسَاءْ
يا جسمها الأبيض قلْ : أأنت خضرة مُنوّرَهْ ؟
يا كم تجولتُ سعيداً في حدائقِكْ
يا جسمها الأبيض قلْ : أأنتَ خمرهْ ؟
فقد نهلتُ من حوافِ مَرْمركْ
سقايتي من المُدامِ والحبابِ والزَبَدْ
يا جسمها الأبيضَ مثلَ خاطرِ الملائكهْ
تباركَ اللهُ الذي قد أبدعَكْ
وأحمدُ اللهَ الذي ذاتَ مساءْ
على جفوني وضعك
لما رأينا الشمسَ في مفارق الطرق
مدّتْ ذراعَيها الجميلتينْ

مدت ذراعيها المخيفتين ْ
ونَقَرَتْ أصابعَ المدينةِ المدبّبَهْ
على زجاجِ عشّنا ، كأنها تدفعُنا
نذهبُ ، أينْ ؟
تشابكتْ أكفّنا ، واعتنقتْ
أصابع اليدينْ
تعانقت شفاهُنا ، وافترقتْ
في قبلةٍ بليلةٍ منهومهْ
تفرّقتْ خطواتُنا ، وانكفأتْ
على السلالمِ القديمهْ

ثم نزلنا للطريقِ واجمَيْنْ
لما دخلنا في مَواكبِ البَشَرْ
المسرعين الخطوَ نحو الخبزِ والمئونَهْ
المسرعين الخطوَ نحو الموتْ
في جبهةِ الطريقِ ، انفلتتْ ذراعُها
في نِصفِهِ ، تباعَدَتْ ، فرّقَنا مستعجلٌ يشدُّ طِفلته

في آخرِ الطريقِ ُتقتُ – ما استطعتُ – لو رأيْتُ
ما لونُ عينيها
وحينَ شارَفنا ذرى الميدان ، غمغمَتْ بدون صوتْ
كأنها تسألُني .. من أنتْ ؟

الصمت والجناح

الصمتُ راكدٌ ركود ريحٍ ميتَه
حتى جنادبُ الحقولِ ساكِتَه
وقبةُ السماءِ باهِتَه
والأفقُ أسودٌ وضيقٌ بلا أبواب
منكفيءٌ من حيثُما التفتُ كالسرداب
ونحن ممدودانِ في ظلالِ حائطٍ قديم
مفترشانِ ظِلّنا
ملتحفانِ بالعَذاب

وفجأةً أورقَ في حقلِ السّما نجمٌ وحيد

ورفَّ في الصَمْتِ البليدِ ريشُ طائرٍ فريدْ
هَمَسْتُ ، يا صديقي ، توجّهي لِرَبّنا
وناشديه ، أن يَبُثَّ في ظِلالنا
رَفرَفَةَ الحياةِ من جديدْ ..

الحب في هذا الزمان

تسألني رفيقتي : ما آخرُ الطريقْ
وهل عرفتُ أوّلَهْ
نحنُ دمىً شاخصةٌ
فوقَ ستارٍ مُسْدَلَهْ
خطىً تشابكتْ بلا ..
قصدٍ ، على دربٍ قصيرٍ ضيقِ
اللهُ وحدَهُ الذي يعلمُ ما غايةُ هذا الولهِ المؤرّقِ
يعلمُ هل تُدْركُنا السعادَهْ
أم الشقاءُ والنَدَمْ ؟
وكيف توضعُ النهايةُ المعادَهْ

الموتُ ... أو نوازِعُ السأمْ ؟
يعلمُ ، حينَ نلتقي بعد سنينٍ أو شهورْ
هل سيكونُ في العيونِ وَجْدُها
هل سيكونُ في العيونِ حقدُها
أم نلتقي كالأصدقاءِ القدماءْ
يسلِّمونَ في فتورْ ...
يُوَدعونَ في فتورْ ...

الحبُّ يا رفيقتي ، قد كانْ
في أوّل الزمانْ
يخضعُ للترتيبِ والحُسبانْ
« نظرةٌ ، فابتسامةٌ ، فسلامٌ
فكلامٌ ، فموعدٌ ، فلقاءُ »
اليومَ .. يا عَجائبَ الزمانْ !
قد يَلتقي في الحبِّ عاشقانْ
من قبل أن يبتسما

ذكرت أننا كعاشقين عصريين ، يا رفيقي
ذقنا الذي ذقناه
من قبلِ أن نشتهيه
ورغم عِلمِنَا
بأن ما ننسجه ملاءة لِفرشِنا
تنقضه أناملُ الصباح
وأن ما نهمسه ، ننعش أعصابَنا
يقتله البُواح
فقد نسجناه
وقد همسناه

الحبُ في هذا الزمانِ يا رفيقي ....
كالحزنِ ، لا يعيشُ إلا لحظة البكاء
أو لحظة الشبق
الحب بالفطانةِ اختنق
إذا افترقنا ، يا رفيقي ، فلنلقِ كلّ اللوم

على زَمانِنا
ولننفض الأيدي في التَذكارِ والنَدَمْ
ولنَمْسَحِ الظلالَ عنْ عيونِنا
ولنبتسمْ في ثقةٍ ، بأنّ ما حدَثْ
كان إرادةَ القَدَرْ
وأن آمراً أمَرْ
وأننا قد استجبنا للذي نُحسُّهُ
حينَ قتَلْنا حِسّنا
وأن ما مضى
أهونُ من أن نحمله كأمسِنا
من أن يمدّ ظِلّهُ البغيضْ
على شبابنَا
ولننطلقْ مغامرين ضائعَينِ في البحار العَكِرَهْ
نمد جسْمَنا الجديبَ ، والضلوع المقفرهْ
في الغرفِ الجديدة المؤجرَهْ
بين صدورِ أخَرٍ مُعتصِرَهْ

رسالة الى سيدة طيبة

في يومٍ كانتْ وَرْدَه
تغفو في كُمِّ الليلْ
الشمسُ رَعَتْها
حتى دبّتْ فيها الروح
والشمسُ ،
الشمسُ أماتَتْها
وقداً وتباريح
في يوم حلّقَ طائِر
ألقاهُ الحظُّ العاثِرْ
في حبِّ الآفاقِ الممْتدّهْ

فمضى يَصّاعَدُ منطلقا
هبّتْ ريحٌ ألقتهُ للسفحْ
وهوى في جوفِ الآفاقِ الممتدهْ
ورعاهُ السفحُ ، فلمّ عظامَهْ
حتى دبّتْ فيهْ الروحْ
لكنْ ، هلْ يأمَن حضنَ الريحْ
طيرٌ مقصوصُ الريشِ جريحْ
حتى .. والريحُ رَخيّهْ
في ليلةِ صيفْ
وقّع أحدُ الشعراءِ البُسَطاءْ
أنغاماً ساذجةً خضراءْ
ليناجي قلبَ الإلفْ
لكن كفّا مَعْشوقتِهِ قد مزقتا أوتارهْ
صارتْ أنغامُ الشاعرِ خرْساءْ
فإذا نَطَقَتْ كانت سوداويهْ

يا سيدتي ، عذراً ....

فأنا أتكلمُ بالأمثالِ لأن الألفاظَ العريانه
هي أقسى من أن تلتقيها شفتان
لكنَّ الأمثالَ الملتفةَ في الأسمال
كشفت جسدَ الواقع
وبدت كالصدقِ العريان

أشقى ما مرَّ بقلبي أن الأيامَ الجهمه
جعلته يا سيدتي قلباً جهما
سلبته موهبةَ الحبّ
وأنا لا أعرفُ كيفَ أحبك
وبأضلاعي ، هذا القلب . .

حكاية قديمة

كان له أصحابْ
وعاهدوهُ في مساءِ حُزْنِهْ ...
ألّا يسلّموه للجنودْ
أو ينكروهُ عِنْدما
يطلبه السلطانْ
فواحدٌ أسلمهُ لقاءَ حِفنةٍ من النقود
ثم انتحرْ
وآخرٌ أنكرهُ ثلاثةً قبل انبلاج الفجرْ
وبعد أن ماتَ اطمأنتْ شَفتاهْ
ثم مشى مكرّراً مفاخِراً بأنه رآهْ